

تفسير البحر المحيط

@ 378 ولم يتقدم سوى قوله : { وَطَانَ * دَاوُدُ * أَرْمَى فَتَنَزَّاهُ } ،
ويعلم قطعاً أن الأنبياء ، عليهم السلام ، معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء
منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك ، بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء مما يذكرون
أنه أوحى الله به إليهم ، فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أَرَادَهُ تعالى ، وما حكى
القصاص مما فيه غص عن منصب النبوة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر : % (ونؤثر حكم العقل
في كل شبهة % .
إذا أثر الأخبار جلاس قصاص .

{ مَنَابِ يَدَاوُدُ إِزَّامَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَادْكُمُ بِيْنِ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ
الَّذِينَ يَضِلُّونَ . . } . .
جعله تعالى داود خليفة في الأرض يدل على مكانته ، عليه السلام ، عنده واصطفائه ، ويدفع
في صدر من نسب إليه شيئاً مما لا يليق بمنصب النبوة . واحتمل لفظ خليفة أن يكون معناه
: تخلف من تقدمك من الأنبياء ، أن يعلي قدرك بجعلك ملكاً نافذ الحكم ، ومنه قيل : خلفاء
الله في أرضه . واستدل من هذه الآية على احتياج الأرض إلى خليفة من الله ، ولا يلزم ذلك من
الآية ، بل لزومه من جهة الشرع والإجماع . قال ابن عطية : ولا يقال خليفة الله إلا لرسول .
وأما الخلفاء ، فكل واحد منهم خليفة الذي قبله ، وما يجيء في الشعر من تسمية أحدهم
خليفة الله فذلك تجوز ، كما قال قيس الرقيات : % (خليفة الله في بريته % .
حقت بذاك الأقلام والكتب .
%) .

وقالت الصحابة لأبي بكر : خليفة رسول الله ، وبذلك كان يدعى مدته . فلما ولي عمر قالوا
: خليفة خليفة رسول الله ، وطال الأمر وزاد أنه في المستقبل ، فدعوه أمير المؤمنين ، وقصر
هذا الاسم على الخلفاء . انتهى . { فَادْكُمُ بِيْنِ النَّاسِ بِالْحَقِّ } : أمر
بالديمومة ، وتنبيه لغيره ممن ولي أمور الناس . فمن حيث هو معصوم لا يحكم إلا بالحق ،
أمر أولاً بالحكم ؛ ولما كان الهوى قد يعرض لغير المعصوم ، أمر باجتنابه ، وذكر نتيجة

اتباعه ، وهو إضلاله عن سبيل الله . و { فَآيُضِلُّكَ } : جواب للنهي ، والفاعل في